وتعاظم التضامن بين الناس وتوحدوا على مواجهة العدو يحدوهم الأمل بإمكانية النصر وإزاحة المحتل عن صدورهم، وعلى الأقل (إننا قادرون على التحدي ولم نفر مذعورين من أمام دبابات وجنود الاحتلال. لقد قررنا خوض المعركة للنهاية، ولكيما نحصد ثمارها علينا خوضها بنفس طويل، سنوات، إلى أن تصبح الانتفاضة نمط حياة، ولا ينبغي القول أبداً إن وضعنا السابق ما قبل الجيشان الانتفاضي كان طبيعياً، فحينها تتعذر فرص التغيير، بل ينبغي القول إن وضعية الاشتباك الانتفاضي هي الوضعية الطبيعية، ومع الاعتذار لبريخت فالمعنى مستقى منه. أما اللعثمات الباهتة التي ترشح إلينا عن أوساط «قيادية» في الخارج، وبعض «الشخصيات» التي تسافر لتونس، فتتحدث عن تعب الجماهير، فهي إنما تصب في خانة الانهزام، فهؤلاء انهزاميون ولا يثقون بالجماهير، لأنهم لا يثقون بأنفسهم على المجالدة والتضحية، أما الجماهير فطاقاتها لا تنضب، بل عملنا جهدنا لضبط تاكتيكات الانتفاضة بما يقلص تضحيات الجماهير ما أمكن، وها هي تتظاهر في الشوارع، وتشكل لجان الحراسة، وينزف دمها... ولكنها مصممة على الاستمرار. إننا فصيلة متقدة تلتحم بالجماهير وأوفياء لإرادتها في الاستمرار.

ربما تذكرون كلمات لينين في مؤلفه الرائع «ما العمل» تحت عنوان حرية النقد (نحن نسير جماعة متراصة في طريق وعرة، صعبة، متكاتفين بقوة. ومن جميع الجهات يطوقنا الأعداء، وينبغي لنا أن نسير على الدوام، تقريباً، ونحن عرضة لنيرانهم. لقد اتحدنا بملء إرادتنا، اتحدنا بغية مقارعة الأعداء بالذات، لا للوقوع في المستنقع المجاور الذي لامنا سكانه منذ البدء لأننا اتحدنا في جماعة وفضلنا طريق النضال لا طريق المهادنة. وإذا البعض منا يأخذ بالصياح: هلموا إلى هذا المستنقع! وعندما يقال لهم: ألا تخجلون، يعترضون قائلين: ما أجهلكم يا هؤلاء، ألا تستحون أن تنكروا علينا حرية دعوتكم إلى الطريق الأحسن! صحيح، صحيح أيها السادة! إنكم أحرار لا في أن تدعوا وحسب، بل أيضاً في الذهاب إلى المكان الذي يطيب لكم، إلى المستنقع إن شئتم، ونحن نرى أن مكانكم أنتم هو المستنقع، ولكن رجاءً أن تتركوا أيدينا، لا أن تتعلقوا بأذيالنا... لأننا نحن أيضاً أحرار في النضال لا ضد المستنقع وحسب، أيضاً ضد الذين يعرجون عليه)... ومن المفيد أن تتذكروا كلمات الحكيم أيضاً إن «البرجوازية» الفلسطينية تنتظر الفرصة للحاق بالسياسة الأمريكية و«لعم» لمشروع ريغن والكونفيدرالية... وثمة بؤر «برجوازية» في الداخل منبطحة أكثر من أوساط «برجوازية» في الخارج... ويا ليتها برجوازية لأمكن أن تبني قاعدة اقتصادية إنتاجية ومؤسسات وعلماً وثقافة... ولكن هؤلاء مجرد شرائح بيروقراطية وتجارية- كومبرادورية يتعيشون على فتات البترودولار والتجارة مع الإسرائيليين... يرجى الانتباه لما قاله اجتماع أصحاب